المبحث الثاني

توصيف مشكلة الفقر من المنظور الإسلامي

توصيف مشكلة الفقر من المنظور الإسلامي

رفض الإسلام كل وجهات النظر السابقة والمتعلقة بمشكلة الفقر رفضا تاما، ونظر إلى مشكلة الفقر من منظور جديد يتمثل فيما يلى :

(أ) **خطورة مشكلة الفقر :** يرى الإسلام أن الفقر مشكلة، بل هو آفة خطيرة يُخْشَى سوء أثرها على الفرد والمجتمع معا ، وعلى العقيدة والإيمان ، وعلى الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة؛ ولذلك لم يَرِدْ فى مدح الفقر آية واحدة من القرآن، ولا حديث واحد يصح عن رسول الله ﷺ. وإنما وردت أحاديث يستعيذُ فيها رسول الله ﷺ من الكُفر، والفقر فى سياق واحد ، وذلك فى قول رسول الله ﷺ : " اللهم إنى أعوذ بك من الكُفر والفقر". [1] وقوله "اَللَّهُمَّ إنى أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة ، وأعوذ بك أن أَظْلِمُ أو أظْلَمَ". [2]

(ب) **الفقر داء له دواء :** يرى الإسلام أن مشكلة الفقر داءٌ جعل الله له دواءً ، وإذا كان الفقر قدراً من الله ، فإن مقاومته والخروج من عباءته من قدر الله أيضاً ، وأن كل معضلة فى الكون لها حل، ولكل داء دواء ، فالذى خلق الداء خلق له الدواء ، فالمرضُ بقدَرِ الله والعلاجُ بقدَرِ الله ، والمؤمن الحق يدفع قدَرًا بقدَرٍ. لذلك يجب على كل مسلم فقير أن يحاول الخروج من

(١) البخارى ، الأدب المفرد ، ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، حديث رقم ٧٠١.

(٢) الحافظ المصنف «أبو داود» ، سنن أبى داود ، شرح وتحقيق د/ السيد محمد سيد وآخرين ، دار الحديث ، حديث رقم ١٥٤٤ ، بدون سنة نشر.

فقره بكل الوسائل المباحة التى سوف يتم تفصيلها فيما بعد. ومن هنا كان الاستسلام للفقر ذنبًا يحاسب عليه المسلم أمام الله.

(ج) **الزهد لا يعنى ترك الدنيا :** إنَّ الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ فى مدح الزهد فى الدنيا لا تعنى مدح الفقر ، فإن الزهد يقتضى ملك الشىء ثم الزهد فيه، فالزاهد حقا من ملك الدنيا فجعلها فى يده، ولم يجعلها فى قلبه. وقد امتن الله على رسوله بالغنى فى قوله ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحى:٨] كما جعل الله إيتاء المال من عاجل مثوبته لعباده المؤمنين فى قوله ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ [نوح:١٠-١٢]. كما أن رسول الله ﷺ قد مدح المال فى قوله:"نِعْمَ المالُ الصالحُ للمرءِ الصَّالحِ".[١]

(د) **الحث على القناعة :** إن الأحاديث الواردة عن رسول الله فى الحث على القناعة ، والرضا بما قسم الله ، ليس معناها أن يرضى الفقراء بالعيش الدون وحياة الهوان، ولا القعود عن السعى إلى الغنى الحلال ، والحياة الطيبة، والعيش الرغيد.

إنما القناعة تعنى ترك الطمع، والحرص الشديد على الدنيا الذى صوره رسول الله ﷺ فى قوله "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابْتَغَى ثالثًا ، ولا يملأُ عينَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ". [٢] فإذا ترك الإنسان الطمع بالقناعة منحه ذلك السكينة التى هى سر السعادة فى الحياة الدنيا ، وجَنَّبَه الإفراط والغلو الذى يُرهق النفس والبدن معاً ؛ لذلك أمر رسول الله بالاعتدال فى السعى للغِنَى، والإجمالِ فى طلب

---

(١)ولى الدين التبريزى ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الشيخ الألبانى ، المكتب الإسلامى ، دمشق ، حديث رقم ٣٧٥٦ ، بدون سنة نشر.

(٢)ولى الدين التبريزى ، مشكاة المصابيح ، المرجع السابق ، حديث رقم ٥٢٧٣.

الرِّزق فى قوله "إن رُوَح القُدسِ نفثَ فِى رُوعِى أَنَّ نَفْسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقَها ، فاتقوا الله وأَجْمِلُوا فى الطلبِ".

ولو تُرك الإنسانُ يستسلم لنزعات حِرصِه وطَمَعِه لأصبح خَطَراً على نفسه ، وعلى مجتمعه، لذلك وجَّهَهُ الله إلى قِيَم أرفعَ ومعانٍ أخلدَ فى قوله سبحانه﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٤-١٥]. وغيرها من الآيات التى لا يتسع المجال هنا لذكرها بالتفصيل.(١) فالقناعة إذاً ألا يكون الإنسان جشعا شرها ولا حَسودا مُتَطَلِّعا إلى ما ليس له، ولا فى طاقة مثله.

(هـ) **المال مال الله** : يرى الإسلام أن المال مال الله هو خالقه وواهبه، وأن الغَنِىَّ مُستخلَفٌ فيه وأمين عليه ، أى: أن الغنىَّ هو نائبٌ عن المالك الأصلى وهو الله فى رعاية المال، وتنميته، والتصرف فيه وَفْقًا لأوامره. ويؤكد القرآن هذه الحقيقة الأصيلة فى قول الله سبحانه: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ ﴾ [الحديد:٧].وقوله: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور:٣٣]. وقوله: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ومن هذه الآيات وغيرها يتضح أن المال فى يد الغنى إنما هو فى الحقيقة مال الله عنده، ورزق الله لديه!.

---

(١) لمزيد من الآيات الواردة فى هذا المعنى انظر :
(أ) سورة النحل ، آية (٧١).
(ب) سورة الإسراء ،آية (٣٠). (ج) سورة الأنعام ، آية (١٦٥).

ومن هنا أوجب الله تعالى على الأغنياء حقا معلوما للفقراء فى أموالهم التى هى أموال الله التى آتاهم واستخلفهم عليها ، وذلك فى قوله سبحانه ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات:١٩] وقوله سبحانه ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ ﴾ [التوبة:١٠٣] ولعل الحكمة من فرض حق للفقراء فى أموال الأغنياء ، ترجع إلى أن كلا من الأغنياء والفقراء يعيشون فى مجتمع واحد لا يستغنى أحدهم عن الآخر ، وأن غنى الأغنياء جاء من خلال ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة فى المجتمع ، فإن كان هذا المجتمع به طائفة غير قادرة على العمل، فعلى الأغنياء أن يقفوا بجانبهم ويأخذوا بأيديهم تحقيقا لقول الله سبحانه ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

(و) **إقرار الملكية الخاصة للمال :** وإذا كان الأصل أن المال مال الله ، إلا أن الإسلام أقر الملكية الخاصة للمال ، لأن فيها إشباعا لدافع فطرى إنسانى أصيل ، وذلك لما يترتب على الملكية الخاصة من آثار فى تقدم المجتمع وازدهاره اقتصاديا واجتماعيا وضمانا لبقاء الحرية المدنية والحرية السياسية.

(ز) **الدعوة إلى التكافل :** دعا الإسلام الأغنياء إلى الإحسان إلى الفقراء والأخذ بأيديهم، إلا أن الإسلام لم يترك ذلك إلى ضمير الأغنياء وما تجود به أنفسهم، وتفيض به عواطفهم تجاه الفقراء، لأن فى ذلك مضيعةً للفقراء والمساكين وسائر ذوى الحاجات، وخاصة إذا قست القلوب، وضعف الإيمان، وغلب الشُّحُّ والأنانية على الأنفس ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ [الفجر: ١٧-٢٠].

وفكرة الإحسان من أقدم الوسائل التى استخدمتها الديانات السماوية، والوضعية لمعالجة مشكلة الفقر فى المجتمعات المختلفة، وقد اعتمدت عليها

الإنسانية عصوراً طويلة فى مكافحة مظاهر البؤس والفقر ، إلا أن هذه الفكرة على وجاهتها وسُموِّها لم تنجح فى استئصال الفقر من جذوره ، وتنهض بجميع العجزة والمحتاجين إلى مستوى الحياة الإنسانية الكريمة ؛ ويرجع هذا الفشل إلى أن الإحسان يمثل فى أغلب الأذهان واجبا لاحقا ، ومن ثم لم يشعر الفقير أن له على الغنى حقا يجب أن يطالبه به ويأخذه منه ، وظل الغنى مقتنعا أن الإحسان إلى الفقير مجرد واجب عليه يؤديه وقتما يشاء، وكيفما يشاء دون أن يلزم نفسه أو تلزمه الدولة به.

(ح) **وضع ضوابط للإنفاق الاستهلاكى :** وضع الإسلام ضوابط للإنفاق الاستهلاكى يلتزم بها المسلم غنيا كان أو فقيراً. فليس الإنسان حراً فى أن ينفق المال فيما يشاء، وكيف يشاء، بل يلتزم بأوامر الله فى هذا المجال، وتتمثل أهم هذه الضوابط فيما يلى:

- تحريم الإنفاق على أشياء معينة مثل: الخمر، والمخدرات، وغير ذلك من الأشياء المغيبة للعقل البشرى ، وكذلك تحريم لعب القمار، والمراهنات، وكل ما يستجد من أشياء مشابهة.

- الإنفاق على الأشياء المباحة من طعام، وشراب، وملبس، وغير ذلك دون تقتير أو تبذير لقول الله سبحانه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧]، وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء:٢٩]، وقوله سبحانه فى بيان الصفات الحميدة لعباد الرحمن ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان:٦٧].

فالإسلام يأمر بالاعتدال فى الإنفاق، ويبغض البخل والشح والتقتير وكذلك الإسراف والتبذير سواء بسواء.

(ت) **الدعوة إلى توظيف الأموال** : حرم الإسلام اكتناز المال، وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب الأليم فى الآخرة ، وذلك فى قول الله سبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥] وتحريم الاكتناز هدفه الأساسى دفع الأموال إلى دائرة الاستثمار فى النشاط الاقتصادى بجوانبه المختلفة ، لأن فى ذلك خيراً للمجتمع كله (فقراء وأغنياء) وعلاجا لمشاكله الاقتصادية المتعددة ، ولا يخفى على أحد دور الاستثمار فى فتح أبواب العمل المنتج أمام الباحثين عن العمل ولا يجدونه ، وفى ذلك علاج جزئى لمشكلة الفقر.

إن نظرة الإسلام إلى الفقر والمال والسابق بيانها أدت إلى أن يكون منهجه لعلاج مشكلة الفقر شاملا وكاملا ومتفردًا، بداية من تـ شخيص هذه المشكلة وانتهاءً بوضع الحلول المختلفة لها.